مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (38) العدد (5)2016
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (38) No. (5) 2016

المرابطة في الثغور الشامية الشمالية ما بين الجهاد والتصوف في القرنين الثالث والرابع الهجريين/التاسع والعاشر الميلاديين

الدكتور سامي مرعي*
أحمد علي**

(تاريخ الإيداع 13 / 6 / 2016. قبل للنشر في 27 / 10 / 2016)

□ ملخّص □

كان لحركة المرابطة في الثغور الشامية دورٌ إيجابيٌ في الذود عن حدود الدولة العربية الإسلامية في تاريخ العرب والإسلام، إذ كان بعض المقاتلين يقصدون هذه الثغور للمرابطة بشكل طوعي في معظمهم مدفوعين بالواجب الديني بغرض الجهاد، إلى جانب القوات المنظمة والمرتبة في تلك النواحي التي تعمل مقابل مرتبات شهرية أو سنوية مقررة لهم، فكان هؤلاء المرابطون قوات داعمة لهذه القوات النظامية المتواجدة في تلك النواحي، إذ عملوا إلى جانبها على حراسة الحدود والدفاع عنها ضد العدو البيزنطي، وكانت حركة المرابطة هذه قد بدأت منذ القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي، ولكن أكثر نشاطها كان في القرنين الثالث والرابع الهجريين/ التاسع والعاشر الميلاديين، ولاسيما مع تراجع قوة الدولة العباسية وانحسار سلطتها عن مناطق الثغور، وازدهرت في الوقت نفسه الحركة الصوفية، وانتشرت في أرجاء العالم الإسلامي. الأمر الذي جعل من منطقة الثغور الشامية الشمالية مقصداً لهؤلاء الصوفية، فوفدوا إليها بغرض جهاد النفس وجهاد الأعداء في آنٍ واحد.

الكلمات المفتاحية : مرابطة– ثغور– جهاد– تصوف.

* مدرّس– قسم التاريخ– كلية الآداب– جامعة تشرين– اللاذقية– سورية.
** طالب دراسات عليا(ماجستير)– كلية الآداب– جامعة تشرين– اللاذقية– سورية.

مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (38) العدد (5)2016
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (38) No. (5) 2016

Almourabatah In The Northern Al-Sham gaps Between Al-Jihad And Sufism 3^{AH} And 4^{AH} / 9^{AB} And 10^{AB} Century

Dr. Sami Merray[*]
Ahmad Ali[**]

(Received 13 / 6 / 2016. Accepted 27 / 10 / 2016)

□ ABSTRACT □

AL-Mourabatah movement in Al-Sham gaps played positive role in defending the Islamic state borders in the medieval period. It was composed of two groups: The monthly or annual paid organized forces and the voluntary group who, most of them went there to fulfill religious duty of Jihad, they both worked to gather to guard and defend the borders against the foes of the nation, this movement was mainly active in the 3^{AH} and 4^{AH} / 9^{AB} and 10^{AB} century, in the period when the power of the Abbasid state weekend and disappeared, At that time Al-Sham gaps became a destination to Sufis which was a movement flourished in the Islamic world, for self-striving and Fighting the enemies of the nation.

Key words: Mourabata-Gaps-Jihad-Sufism.

[*] **Assistant Professor- History department-Faculty Of Arts-Tishreen University Lattakia- Syria.**
[**] **Postgraduate Student(Master)- Faculty Of Arts-Tishreen University Lattakia- Syria.**

مقدمة:

الثغور مفردها ثغر، والثغر هو كل موضع قريب من أرض العدو [1]، والثغور الشامية هي الخط الطويل من القلاع والحصون[2] الممتدة من ملطية على الفرات الأعلى إلى طرسوس بالقرب من البحر الشامي(المتوسط)، وتقسم هذه الثغور إلى شامية وجزرية، فالشامية هي: طرسوس[3]، أذنة[4]، المصيصة[5]، عين زربى[6]، وحصن المثقب[7]، والجزرية هي: مرعش[8]، زبطرة[9]، الحدث[10]، سميساط[11]، وملطية[12].

كانت هذه المنطقة قد بدأت تأخذ مكانتها في التاريخ العربي الإسلامي منذ بداية توسع حركة الفتوحات العربية الإسلامية في مناطق بلاد الشام الشمالية، وذلك في النصف الأول من القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي، حيث أخذت تتطور شيئاً فشيئاً على يد خلفاء بني أمية ثم خلفاء بني العباس من بعدهم [13]، حتّى بلغت شكلها النهائي في النصف الثاني من القرن الثاني للهجري/ الثامن الميلادي، على يد الخليفة هارون الرشيد(170-193هـ/ 786-809م)، الذي قام بتنظيم المنطقة إدارياً، فقام بفصل منطقة أنطاكية وقنسرين عن منطقة الثغور، وجعلها منطقة إدارية منفصلة عرفت بإقليم العواصم(لعصمة الثغور ودعمها حين الضرورة)، وقد ضمّت أنطاكية ومنبج ودلّوك ورعبان وقورس وتيزين، ليصبح للمسلمين في تلك النواحي خطين للدفاع، الأول هو إقليم الثغور، والثاني هو إقليم العواصم [14]،

---

[1] الحموي ، ياقوت، (ت،626هـ/ 1229م)، معجم البلدان، تح: فريد عبد العزيز الجندي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1990م، ج2، ص93.

[2] القلعة والحصن: القلعة هي بناء منيع مشيد في موقع يصعب الوصول إليه على قمة جبل أو في موقع مشرف على بحر أو في أرض منبسطة، ولهذه القلاع أسوار مدعومة بمتاريس وأبراج تمكن المدافعين عنها من القيام بعملهم؛ أما الحصن: فهو بناء يشبه البرج ويتبع القلعة، حيث تنتشر الحصون في المناطق المجاورة للقلعة، ذلك بغرض القيام بمهام المراقبة والحراسة والدفاع؛ الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة، الرياض، ط 2، 1419هـ/ 1999م، ج18، ص 290.

[3] طرسوس: مدينة بثغور الشام بين أنطاكية وبلاد الروم، بينها وبين أذنة ستة فراسخ؛ الحموي، معجم البلدان، ج4، 28.

[4] أذنة: بلد بثغور الشام قرب المصيصة، وهي على نهر سيحان؛ الحموي، معجم البلدان، ج1، ص132.

[5] المصّيصة: هي مدينة على شاطئ نهر جيحان من الثغور الشامية بين أنطاكية وبلاد الروم تقارب طرسوس، وتشكل بالإضافة إلى طرسوس وأذنة، المدن الرئيسية لمنطقة كيليكية؛ الحموي، معجم البلدان، ج5، ص145.

[6] عينُ زَرْبَى: بلد في الثغور من نواحي المصيصة؛ الحموي، معجم البلدان، ج4، ص177.

[7] حصن المثقب: حصن على ساحل البحر قرب المصيصة، وسمي كذلك لأنه في جبال كلّها مثقبة، وأول من بناه الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك(105-125هـ/ 724- 743م)؛ الحموي، معجم البلدان، ج 5، ص54؛ لسترانج، كي، بلدان الخلافة الشرقية، تر: بشير فرنسين، كوركيس عوّاد، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط2، 1985م، ، ص 162.

[8] مرعش: مدينة في الثغور وسطها حصن يدعى المرواني نسبةً إلى مروان بن محمد(127- 132هـ/ 744- 750م)، آخر خلفاء بني أمية وفيها ربض يعرف بالهارونية؛ الحموي، معجم البلدان، ج5، ص107؛ لسترانج، بلدان الخلافة، ص 161.

[9] زبطرة: مدينة بين ملطية وسميساط والحدث في طرف بلد الروم، وتتوضع على ضفة نهر يدعى قرافيس، وهو من روافد نهر الفرات؛ الحموي، معجم البلدان، ج3، ص130-131، لسترانج، بلدان الخلافة، ص 153.

[10] الحدث: أطلق عليها البيزنطيون Adata وتعرف عند المسلمين بالحدث الحمراء، لحمرة تربتها، وهي تشرف على درب الحدث، الذي يعرف بدرب السلامة؛ الحموي، معجم البلدان، ج2، ص227؛ لسترانج، بلدان الخلافة، ص 154.

[11] سميساط، مدينة على الشاطئ الغربي للفرات في طرف بلد الروم؛ الحموي، معجم البلدان، ج3، ص258.

[12] مَلَطْيَةُ: بلدة من الروم على حدود الشام، كانت مسلحة قبل أن يوسع المسلمون بنائها حتى صارت من أجل الثغور، وتقع على نهلر يدعى القباقب، وهو إحدى روافد نهر الفرات؛ الحموي، معجم البلدان، ج5، ص192؛ لسترانج، بلدان الخلافة، ص 152.

[13] البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر(ت، 297هـ/ 892م)، فتوح البلدان، تح: عبد الله أنيس الطّباع- عمر أنيس الطبّاع، بيروت، مؤسسة المعارف، 1987م، ص 202- 226- 264؛ ابن شداد، محمد بن علي بن إبراهيم(ت، 684هـ/ 1285م)، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تح: يحيى زكريا عبّارة، دمشق، وزارة الثقافة، 1991م، ج1، ص144-146-150، 166، 167، 169، 17، 186؛ الحموي، معجم البلدان، ج2، ص 314؛ عثمان، فتحي، الحدود الإسلامية البيزنطية بين الإحتكاك الحربي والإتصال الحضاري، القاهرة ، الدار القومية للطباعة، 1966م، ج2، ص314.

[14] البلاذري، فتوح البلدان، ص271؛ ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج1، ص151-153-157-175-181.

كما قام بجهود مهمّة لتعزيز تلك المنطقة وزيادة تحصينها، فقام ببناء ثغر جديد سمّاه الهارونية [1]، نسبةً إليه، وثغر الكنيسة السوداء[2]، كما زاد في تحصين كل من طرسوس، والحدث، وزبطرة، وأذنة، وعين زربى[3].

توبعت هذه الجهود في عهد خلفاء الرشيد [4]، إلى أن كان عهد المتوكل (232–247هـ/ 847–861م)، الذي قويت في عهده العناصر الأجنبية من غير العرب وأخذت تتحكم بأمور الدولة، ما أضعف سلطة بغداد، وأفسح المجال لولاة الأقاليم البعيدة عن مركز الخلافة إلى الاستقلال بإماراتهم، وإقامة دولهم الخاصة، فعمل هؤلاء الولاة على دعم سلطتهم الوليدة بما يمنحهم صفة الشرعية بنظر العامة من المسلمين، ومن هؤلاء الأمراء: أحمد بن طولون أمير مصر، الذي استقل بها، وعمل على إضفاء مظاهر الشرعية لدولته بسيطرته على منطقة الثغور والعواصم التي كانت ساحة الجهاد ضد الروم [5]، وكان هؤلاء الطولونيون قد عملوا خلال فترة سيادتهم على تلك المنطقة (265– 286هـ/ 879– 899م) على النهوض بها وتطويرها[6].

توزعت السلطة على تلك الديار بعد العصر الطولوني بين العباسيين والإخشيديين إلى حين قيام الإمارة الحمدانية في حلب سنة 333هـ/ 944م[7]، حيث بسط الحمدانيون سلطتهم على منطقة الثغور وعملوا خلال مدة سيادتهم سيادتهم عليها على النهوض بها عمرانياً وحضارياً واقتصادياً، إلى أن ضعف حال هذه الدولة وأصبحت عاجزة عن مقارعة الروم البيزنطيين ما أدى إلى سقوط تلك المنطقة بيد الروم البيزنطيون سنة 359هـ/970 م[8]،

وخلال المدة من حين اكتمال منطقة الثغور على يد الخليفة هارون الرشيد، إلى حين سقوطها بيد الروم سنة 359هـ/970م، كانت منطقة الثغور مقصداً للمرابطين والمثاغرين الذين وفدوا إليها من كل حدبٍ وصوب، قاصدين المرابطة والمثاغرة بغرض الجهاد، خاصةً حين ضعفت الدولة العباسية وتراجعت قدرتها عن القيام بما يتوجب عليها من حماية حدودها مع أعدائها.

أهمية البحث وأهدافه:

يهدف هذا البحث إلى إلقاء الضوء على نشاط حركة المرابطة في منطقة الثغور الشامية في القرنين الثالث والرابع الهجريين/ التاسع والعاشر الميلاديين، إلى حين سقوطها بيد الروم البيزنطيين سنة 359هـ/970م، والتعريف بمفهوم الجهاد وإلقاء الضوء على التطور الذي طرأ عليه وكيف تحوّل هذا النشاط الجهادي إلى مرابطة مع احتفاظه بمضمونه الجهادي، والتعريف بالحركة الصوفية الإسلامية وإلقاء الضوء على نشأتها وتطورها منذ بداية الدولة العربية

---

[1] الهارونية: تقع غرب جبل اللكام في بعض شعابه، وهي حصن صغير، وهي آخر حدود الثغور الشامية مما يتصل بالثغور الجزرية؛ الأصطخري، إبراهيم بن محمد الفارسي المعروف بالكرخي(ت، 334هـ/ 945م)، المسالك والممالك، تح: محمد جابر عبد العال الحيني، مراجعة: محمد شفيق غربال، الجمهورية العربية المتحدة، دار القلم، 1381هـ/ 1961م، ص 47.

[2] الكنيسة السوداء: دعيت بالمحترقة وسميت بالسوداء: لأنها بنيت من حجارة سوداء؛ الحموي، معجم البلدان، ج4، ص485.

[3] ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج1، ص147-151-154.

[4] اليعقوبي، أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح (ت، 284هـ/ 897 م) كتاب البلدان، تح، محمد أمين ضنّاوي، بيروت، دار الكتب العلمية، (د . ت)، ص 205؛ الحموي، معجم البلدان، ج4، ص 178.

[5] الكندي، محمد بن يوسف (ت، 350هـ/ 961م)، كتاب الولاة وكتاب القضاة، تح: رفن كَست، بيروت، مطبعة الآباء اليسوعيين، 1908م، ص 237؛ كاشف، سيدة إسماعيل، أحمد بن طولون، القاهرة، المؤسسة المصرية للطباعة، 1965م ، ص90.

[6] محمود، حسن أحمد، حضارة مصر في العصر الطولوني، القاهرة، دار الفكر العربي، (د . ت)، ص53.

[7] السامر، فيصل، الدولة الحمدانية، بغداد، مطبعة جامعة بغداد، 1973م، ج2، ص168-169.

[8] زيود، محمد أحمد، حالة بلاد الشام الاقتصادية منذ العصر الطولوني حتّى نهاية العصر الفاطمي، دمشق، دار الفكر، (د. ت)، ص 98-99.

الإسلامية، حتى القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، مع توضيح موقف هذه الحركة من عملية الرباط والجهاد، ولماذا كانت الثغور مقصداً للمتصوفة والزهاد؟.

منهجية البحث:

يقوم هذا البحث على منهج البحث التاريخي الاستقرائي، القائم بشكل أساسي على جمع المادة العلمية من المصادر والمراجع التاريخية، ومن ثم معالجتها وتحليلها بغية الوصول إلى النتائج المفيدة وتحقيق الأهداف المطلوبة، وعليه فقد تمت الاستعانة بعدد من المصادر التاريخية والمراجع التي تطرقت إلى موضوع البحث.

النتائج والمناقشة:

المرابطة في الثغور الشامية

الرباط في اللغة، اسمٌ مشتقٌ من الجذر (ربط) ويتضمن مفهومه ملازمة المكان والثبات فيه، ومصطلح الرباط هنا، يعني المواظبة على لزوم الثغر [1]، والمرابط أو الرابط هو الملازم مكان ما لغرض معين، فالمرابط في الثغور هو المقيم فيها بقصد الدفاع عن حدود بلاده، ومن الأهمية هنا، طرح التساؤل التالي: متى ظهرت فكرة الرباط والمرابطة في الفكر العربي الإسلامي؟.

في الحقيقة كانت فكرة الرباط والمثاغرة جزءاً من الفكر العربي الإسلامي، وكانت بدايتها مع بداية الدعوة العربية الإسلامية، وما يثبت ذلك ورود العديد من الآيات القرآنية التي تدعو وتحض المسلمين على المرابطة، ومنها قوله تعالى: (*يَأَيُها ٱلذينَ ءَامَنُوا اصبرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلّكُم تُفلِحُونَ*) [2]، وفي آية اخرى، قوله تعالى: (*وَأَعدُّوا لُهم ما استَطَعتُم مّن قوّةٍ وَمِنَ رّبَاطَ الخيلِ تُرهِبُونَ بهِ عَدُوّ اللهِ وَعَدوّكُم وأخرِينَ من دُونِهم لَا تَعلَمُونهُمُ اللهُ يَعلَمُهم وما تُنفقِوا مِن شيئٍ في سَبِيلِ اللهِ يُوَفّ إليكُم وَأَنتُم لا تُظلَمُونَ*) [3]، كما وردت العديد من الأحاديث في فضل الرباط عند الله سبحانه وتعالى ومنها؛ عن سهل بن سعد [4] رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " *رباط يومٍ في سبيل الله خيرٌ من الدنيا وما عليها، والروحة يروحها العبد في سبيل الله أو الغدوة خيرٌ من الدنيا وما عليها*" [5]، كما أورد ابن العديم في كتابه البغية حديثاً لرسول الله عن أن أهل الشام وثغورها في رباطٍ وجهادٍ دائم وهو، (*عن أبي الدرداء*[6]، *قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: أهل الشام وأزواجهم وذرا ريهم وعبيدهم إلى منتهى الجزيرة مرابطون فمن فمن نزل منهم مدينة من المدائن فهو في رباط، أو ثغراً من الثغور فهو في جهاد*) [7]، ومع الوقت بدأت تظهر أحاديث

---

[1] ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي (ت،711 هـ/ 1311م)، لسان العرب، بيروت، دار صادر، (د. ت)، ج1، ص1108، (مادة، رَبَطَ).

[2] سورة آل عمران، آية 200 .

[3] سورة الأنفال، آية 60 .

[4] سهل بن سعد، سهل بن عامر بن سعد بن عمرو بن ثقف، توفي في السنة الثالثة للهجرة؛ ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع الزهري(ت، 230هـ/845م)، الطبقات الكبرى، تح: علي محمد عمر، القاهرة، مكتبة الخانجي، (د.ت)، مج5، ص320.

[5] البخاري، محمد بن اسماعيل(ت، 256هـ/ 870م)، صحيح البخاري، دمشق- بيروت، دار ابن كثير، ط1، 1423هـ/ 2002م؛ باب فضل رباط يوم في سبيل الله، حديث رقم 2892، ص713.

[6] أبو الدرداء: وهو عويمر بن زيد بن قيس بن عائشة بن أمية، أحد صحابة رسول الله وشهد معه معركة أحد، وتوفي في دمشق سنة 32هـ/ 652م؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، مج4، ص 351، 357.

[7] ابن العديم، عمر بن أحمد بن أبي جرادة، (ت، 660هـ/ 1262م)، بغية الطلب في تاريخ حلب، تح: سهيل زكار، بيروت، دار الفكر 1988م، مج1، ص 45.

*لحض الناس على الإقامة والمرابطة في منطقة الثغور، كالذي أورده الطرسوسي في كتابه سير الثغور، (*عن عبدالله بن المبارك[1] قال: "رأيت النبي صلّى الله عليه وسلّم في المنام واضعاً يده على سور طرسوس وقال: اللهم أحفظني فيها وفي أهلها، وفي رواية أخرى "اللهم أخلفني على من فيها"، كما أن مشايخ الثغر كانوا يقولون: "ما سكن طرسوس إلّا أهالي السداد والصلاح"[2].

كانت الثغور الشامية قد عرفت نوعين من الأربطة: الأول منها، كانت بيوت للصوفية[3]، والتي صارت مع الزمن الزمن مراكز للتعليم والرعاية الاجتماعيّة[4]، أمّا النوع الثاني فهو الأربطة العسكرية: هي التي استخدمتها الجيوش العربية العربية الإسلامية للمرابطة بغرض حراسة الحدود، وتعود بدايات ظهورها إلى عهود الدولة العربية الإسلامية المبكّرة، ففي عهد الخليفة عمر بن الخطاب (13-23هـ/ 63-644م) وجدت منشآت عسكرية هدفها تأمين حماية حدود الدولة الآخذة بالتوسع[5]، وفي عهد الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان (41-61هـ/ 661-681م) تم ترتيب مقاتلين من المسلمين في ملطية كمرابطين لحراسة المدينة والدفاع عنها [6]، ولم يقتصر ذلك على ملطية بل شمل مختلف ثغور الشام، حيث عمل خلفاء بني أمية ومن بعدهم خلفاء بني العباس على شحن هذه الثغور بالمقاتلين المرابطين لتأمينها من الروم.

كانت هذه الثغور في العصر الأموي مراكز متقدمة تنطلق منها القوات الفاتحة في آسيا الصغرى، ولكن في العصر العباسي اختلف الحال مع تحول هذه المنطقة من حدود بدايات كما كانت عليه في العصر الأموي إلى حدود نهايات في العصر العباسي، الأمر الذي جعل منها مراكز للمرابطة والمثاغرة بغرض حماية حدود الدولة العربية الإسلامية والدفاع عنها، فقصدها المجاهدون الذين آثروا الحياة الآخرة على الحياة الدنيا، وفضلوا الرباط والمجاهدة دفاعاً عن أوطانهم، فتدفقوا من أنحاء الدولة الإسلامية إلى طرسوس وسائر الثغور، وهذا ما يؤكده ابن حوقل بقوله عن طرسوس: " لم يكن هناك مدينة عظيمة من حد سجستان وكرمان وفارس والري وأصبهان وجميع الجبال وطبرستان والجزيرة وأذربيجان والعراق والحجاز واليمن وبلاد الشام ومصر والمغرب إلّا وبها لأهلها دارٌ ورباطٌ ينزله غزاة تلك البلدة ويرابطون بها إذا وردوها"[7].

إذاً، كانت الصبغة الجهادية هي الأساس لهؤلاء المرابطين في هذه الثغور الحدودية، فالجهاد هو أن يبذل المؤمن جهده لأداء وظيفة ما، أو القيام بمهمةٍ محددة، كما أنه الجهد في مدافعة الشر واستجلاب الخير [8]، فالجهاد والمرابطة متلازمان إذاً ولا يمكن الفصل بينهما، فالجهاد يقتضي المرابطة على حدود الدولة، والمرابطة على الحدود هي جهاد في الآونة نفسها لأنها اعتزال الدنيا ومشاغلها وتحمل ضنك الحياة، فمن صفات المجاهد المرابطة على الحدود،

---

[1] عبدالله بن المبارك: أبو عبد الرحمن، وهو من زهاد مرو، قصد العراق والشام بغرض الرباط والجهاد، وتوفي في العراق سنة 181هـ/797م، وهو القائل: إن أفضل الأعمال.. هو الرباط والجهاد، لان الله يغفر لصاحبه مغفرةً ما بعدها مغفرة؛ ابن الجوزي، جمال الدين أبي الفرج (ت، 597 هـ/ 1201م) صفة الصفوة، تح: محمود فاخوري – محمد روّاس قلعجي، بيروت، دار المعرفة، ط3، 1405هـ/ 1985م، ج4، ص 134- 147.

[2] الطرسوسي، عثمان بن عبد الله (ت، 401هـ/ 1010م)، بقايا كتاب سير الثغور من خلال مخطوطة بغية الطلب لابن العديم، دراسة وتقديم: شاكر مصطفى، دمشق، دار طلاس، ط1، 1998م، ص 33.

[3] الموسوعة العربية الميسّرة، باشراف: محمد شفيق غربال، بيروت، دار نهضة لبنان،1981م، ص861.

[4] شلبي، أحمد، الجهاد في التفكير الإسلامي، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1968م، ج1، ص17.

[5] شعيرة، محمد الهادي، الرباطات الساحلية الليبية، مؤسسة ليبيا في التاريخ، (د . م)، 1968م، ص235-236.

[6] البلاذري، فتوح البلدان، ص 261- 262.

[7] ابن حوقل، محمد بن علي بن حوقل النصيبي (ت، نحو 367هـ/977م)، صورة الأرض، ليدن، مطبعة بريل،ط2، 1938م، ص184.

[8] أحمد شلبي، الجهاد في التفكير الإسلامي، ص17.

ولكن مصطلح الجهاد تحوّل إلى مرابطة وشاع استخدامه مع تغيّر أحوال الدولة وتوقف توسعها، فصار من الضروري وجود قوى مرابطة على حدود البلاد مدافعة عنها ضد أعدائها، ما يفسر لنا عدم وجود منشآت بعينها معروفة برباط كذا أو كذا خلال القرنين الأولين للهجرة، إذ كان مصطلح الرباط في تلك الآونة مقصوداً به ملازمة الثغور والحصون الحدودية والتأهب لملاقاة العدو [1]، ومن الأهمية هنا ذكر بعض المجاهدين الذين قصدوا الثغور بغرض المرابطة والذود عن حدود بلادهم العربية الإسلامية:

حمش بن عبد الرحيم التريكي النيسابوري (ت، 275هـ/ 888 م)، اسمه محمد ولقبه حمش، قدم من نيسابور مثاغراً ومجاهداً، فكان من المرابطين المقيمين في طرسوس وإليه ينسب بناء جامع للمسلمين في طرسوس للصلاة فيه[2].
فيه[2].

راغب الخادم، مولى الموفق العباسي، قصد طرسوس مرابطاً مع مواليه الذين قدّروا بمئتي فارس على رأسهم أبو هلال الراغبي، بالإضافة إلى جماعة أخرى من المرابطين من أهل الجبل وخراسان، ذلك بعد وفاة سيده سنة 278هـ/891م[3]، وفي طرسوس قام ببناء الدور المشهورة له هناك[4].

– السوسنجردي المقرئ(القرن 3هـ/ 9م)، كان مقيماً بطرسوس مرابطاً.[5]

– أحمد بن حمدوية بن موسى، أبو حامد المؤذن النيسابوري، كان كثير الحج والجهاد والإحسان إلى أكابر العلماء، قدم من نيسابور ونزل طرسوس محدّثاً ومجاهداً لثلاث سنوات وعاد بعدها إلى موطنه وتوفي سنة 315هـ/ 927 م[6].

– أحمد بن محمد سعيد النيسابوري (ت، 353هـ/ 964م)، قدم من نيسابور إلى طرسوس وأقام بها مجاهداً حتى استشهد فيها[7].

– علي بن بكّار البصري (ت، 340هـ/ 951م) الذي قدم المصيصة ورابط بها مثاغراً مع سائر المرابطين والمجاهدين[8].

– زبرج الثملي الأسود، وهو من موالي ثمل الخادم، "أمير طرسوس"، ترك اللذة وزينة الدنيا، وكان من الصالحين المقيمين في جامع طرسوس لا يشغله عن الصلاة والعبادة إلا الجهاد، وكان من القرّاء الحافظين للقرآن ومن خيرة المجاهدين، خرج من طرسوس حين سقوطها سنة 354هـ/ 965م[9].

– إسحق بن إبراهيم، أبو يعقوب الشهرزوري، هو من مجاهدي (القرن 4هـ/ 10م)، قدم طرسوس مرابطاً، ولازم مسجدها صلاةً وتعبداً ما يقارب العشرين سنة، لا يشغله عن ذلك سوى النفير والجهاد[10].

---

[1] جلّول، ناجي، الرباطات البحرية بإفريقية في العصر الوسيط، تونس، 1999م، ص19-20.
[2] ابن العديم، بغية الطلب، مج6، ص2964 – 2965.
[3] ابن العديم، المصدر نفسه، مج8، ص3553.
[4] ابن العديم، المصدر نفسه، مج10، ص 4653 – 4654.
[5] ابن العديم، المصدر نفسه، مج 10، ص4762.
[6] ابن العديم، المصدر نفسه، مج2، ص708 – 709.
[7] ابن العماد، عبد الحي بن أحمد (ت، 1089هـ/ 1678م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، بيروت، دار الفكر، (د.ت)، ج3، ص12.
[8] ابن الجوزي، صفة الصفوة، ج4، ص266.
[9] ابن العديم، بغية الطلب، مج8، ص 3744 – 3745.
[10] ابن العديم، المصدر نفسه، مج3، ص1450.

– أحمد بن عبدالله بن أحمد الماسرجسي المطوعي(ت، 351هـ/ 962م) كان كثير الغزو والجهاد، جاء طرسوس مجاهداً، فتوفي في طريقه إليها في أعمال حلب[1].

من هذه الأسماء السالفة، يمكن القول أن منطقة الثغور كانت مقصداً للمرابطين الذين وفدوا إليها من العراق وخراسان ونيسابور وسائر ديار الإسلام وخاصةً الأقاليم الشرقية من الدولة العربية الإسلامية، والتي كانت في معظمها أقاليم غلب عليها البوادي الفقيرة، ما جعل أهلها أكثر استعداداً للهجرة لأقاليم أكثر قابليةً للعيش والاستقرار، فكان الغرض الرئيس لبعض هؤلاء المرابطين مجاهدة الروم، وبعضهم الأخر كانت الصلاة والتعبد في مقدمة أولوياته، ولكن حتى هؤلاء الأخيرون لم يكونوا ليتقاعسوا عن الجهاد بأرواحهم، كإسحاق بن إبراهيم الشهرزوري، الذي أقام في مسجد طرسوس لا يشغله عن الصلاة والعبادة سوى النفير للغزو، كما كان بعضهم علماء في القراءة(غرض علم القراءة التوفيق بين اللهجات المختلفة التي استعملت لقراءة القرآن لصونه من أي تحريف أو تشويه)، والحديث(العلم بأحاديث رسول الله وأفعاله)، فكانوا وعّاظاً للمسلمين ومرشدين لهم في تلك الديار، كأحمد بن حمدويه النيسابوري المحدّث، وزبرج الثملي القارئ الحافظ، منهم من قدم الثغور وأقام بها بصورة مؤقتة عادوا بعدها إلى بلادهم، كأحمد بن حمدويه الذي قدم الثغور مرابطاً لثلاث سنوات عاد بعدها إلى بلده، ومنهم من قصد الثغور وأقام بها بصورة دائمة إلى حين وفاته أو استشهاده كأحمد بن محمد بن سعيد النيسابوري.

كان قدوم هؤلاء المرابطين في أغلب الأحيان بصورة فردية، مع وجود بعض الحالات الجماعية كالذي حصل سنة353هـ/ 964م عندما قدم إلى حلب عسكر خراساني بغرض غزو الروم، فوضعوا أنفسهم تحت تصرف سيف الدولة الذي توجه بهم إلى المصيصة لصد الروم عنها، وفي سنة 356هـ/ 967م ورد عسكر خراساني آخر قدّر بخمسة آلاف، نزلوا أنطاكية وغزوا في أعمالها في محاولةٍ منهم لحفظ تلك المنطقة من السقوط بيد الروم البيزنطيين، وفي سنة 395هـ/ 1004م، قصد الثغور أحد أمراء بني تغلب ويدعى أحمد بن الحسين الجزري التغلبي داعياً إلى الجهاد وغزو الروم البيزنطيين، فتبعه خلقٌ كثير[2].

الصوفية في الثغورالشامية

الصوفية، اسم أطلق على جماعة من الناس كانت سمتهم شدة العبادة والزهد في الحياة، (وقد بدأت بصفتهم حركة فكرية في النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة/ الثامن الميلادي) [3]، وأخذت بالتطور منذ ذلك الحين حتى أصبحت حركة منظمة لها سماتها الخاصة وذلك مع حلول القرن الثالث للهجرة/ التاسع للميلاد، وانتشارها في مختلف أنحاء العالم الإسلامي، قال الطوسي عنهم: "إنهم جماعة من الناس تركوا الأوطان ولزموا الأسفار والترحال والانتقال من وطنٍ إلى آخر، فتخلوا عن الدنيا، وعزموا عن مباهج الحياة" [4]، وعرّف ابن خلدون الصوفية بأنّها "من العلوم الشرعية الحادثة في الملّة، أصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد

---

[1] ابن العديم، المصدر نفسه، مج2، 855-856.

[2] ابن العديم، عمر بن أحمد بن أبي جرادة(ت، 660هـ/ 1262م)، زبدة الحلب من تاريخ حلب، تح: خليل المنصور، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1، 1417هـ/ 1996م، ص83، 111 .

[3] الهجويري، علي بن عثمان الجلابي، (ت، في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي)، كشف المحجوب، تح: إسعاد عبد الهادي قنديل – أمين عبد المجيد بدوي، مكتبة الإسكندرية، (د.م)، 1974م، ص28.

[4] الطوسي، أبي نصر السّراج(ت، قبل سنة 378ه/ 988م)، اللمع في التصوف، تح، عبد الحليم محمود – طه سرور، مصر، مكتبة الكتب الحديثة، 1960م، ص203.

فيما يقبل عليه الناس من لذّة ومال وجاه، والإنفراد عن الخلق في الخلوة والعبادة"[1]، ولكن هذا لا يعني عزوفهم بالمطلق عن أمور الدنيا، أقله في منطقة الثغور، فالبحث بالصوفية في تلك المنطقة يظهر انخراطهم في الحياة العامة، ومشاركة أهالي تلك المنطقة سائر أنشطة حياتهم.

أمّا التصوف حسب مفهوم أهل التصوف له، فقد تباينوا في تعريفه دون الاختلاف في جوهر ذلك، فقد أجمعوا على أنه الزهد في الدنيا والإقبال على الطاعة الإلهية [2]،والطوسي يقول في ذلك: "إنّ الصوفية، هي مطابقة الشريعة والطريقة والحقيقة، لأن المراد هو الصفاء على شتى المستويات، وأول هذه المستويات هو التطهر من السمات الدنيئة، ومن دنس الروح، وثانيها: هو محو آثار الحياة البشرية، وثالثها: تطهير الصفات واصطفائها"[3].

أمّا أصل التسمية، فهناك روايات متباينة في ذلك، فمنهم من قال إنهم سموا كذلك لسلوكهم مسلك أهل الصّفة [4]، في الملبس والتقشف وغير ذلك، وقال أخرون: لصفائهم عن ملذات الدنيا ومباهجها[5]، كما قال آخرون: أنهم سموا كذلك نسبة إلى الغوث بن مرّ الذي انفرد لخدمة الله تعالى عند بيته الحرام، فكان يدعى صوفة[6]، وعليه سموا صوفية تيمّناً به به لمشابهتهم إيّاه [7]، ولكن الأصح من ذلك كله، ما أجمع عليه الباحثون حين قالوا: "سموا كذلك نسبةً إلى ظاهر لباسهم، الذي غلب عليه الصوف دون غيره من الحرائر والأقمشة[8].

وهنا يجدر التساؤل عن بداية ظهور فكرة التصوف، وهل هو من أصول إسلامية أم غير إسلامية؟.

في الحقيقة كانت الحركة الصوفية ولازالت جزءاً من التراث الديني والعقلي للحضارة العربية الإسلامية، قامت كثورة اجتماعية بشكل أساسي ضد الترف وإقبال الناس عليه، وانغماسهم به وبعدهم عن الدين وبالتالي فساد أحوالهم [9]، وكانت بداية ظهورهم في القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي [10]، ولكن لم يكن هذا الظهور أكثر من مجرد ظاهرة فردية اتّبعها بعض الأشخاص زهداً في الحياة وبعداً عن ملذاتها، ولما كان القرن الثاني للهجرة فقد ظهرت جماعة من أبناء المجتمع جعلوا الرسول الكريم وصحابته قدوتهم في الأخلاق والورع، وكانوا صوتاً صارخاً في وجه ما ساد المجتمع من إقبال على الملذات، خاصة بعد أن أنجزت الفتوحات، واستقرت أمور الدولة وكثر مالها، وأصبح يطلق على الواحد

---

[1] **ABO Hanieh, HANIEH, *Sufism and sufi orders*, Amman, Friedrich-Ebert-stifung, 2011,p.17-18.**

[2] **القشيري، عبد الكريم بن هوزان (ت، 465هـ/ 1073م) الرسالة القشيرية في علم التصوف، تح: معروف زريق، صيدا، لبنان، المكتبة العصرية، (د. ت)، ص60؛ الطوسي، اللمع، ص 25؛ شيمل، آنا ماري، الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف، تر: محمد السيد، رضا قطب، كولونيا(ألمانيا)- بغداد، منشورات الجمل، 2006م، ص21-23.**

[3] **الطوسي، اللمع، ص27 – 28.**

[4] **أهل الصفّة: جماعة من الزهاد والفقراء الغرباء من المهاجرين، كانوا حوالي السبعين شخصاً، ولأنه لم يكن لهم مسكن أو مال أو ولد، فقد سكنوا في صفة المسجد(وهو مكان في مؤخرة المسجد النبوي مسقوف بجريد النخيل)، ومن أبرز أهل الصفة: بلال بن رباح، عمار بن ياسر، أبو زر الغفاري، والمقداد بن الأسود، وأبو عبيدة بن الجراح؛ الهجويري، كشف المحجوب، ص285.**

[5] **الهجويري، كشف المحجوب، ص 30؛ محمد أبو بكر، التعرف لمذهب أهل التصوف، بيروت، دار الكتب العلمية، 1980 م، ص 20-21، ظهير، إحسان إلهي، التصوف المنشأ والمصدر، باكستان، ط1، 1987م، ص7 – 30.**

[6] **قال ابن الجوزي: "إنما سمي الغوث بن مرة(صوفة)، لأنه ما كان يعيش لأمه ولد، فنذرت لئن عاش لتعلقن برأسه صوفه ولتجعلنه ربيط الكعبة، ففعلت، فقيل له صوفة وولده من بعده.. فلما رابطته عند البيت أصابه الحر، فمرت به وقد سقط واسترخى، فقالت: ما صار ابني إلا صوفة، فسمي صوفة"؛ ابن الجوزي، جمال الدين أبي الفرج (ت،597 هـ/ 1201م)، تلبيس إبليس، بيروت، دار القلم، 1403هـ، ص 156.**

[7] **مبارك، زكي، التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، القاهرة، دار الكلمات، 2012م، ج1، (عدد الصفحات373)، ص50.**

[8] **الطوسي، اللمع، ص41؛ الكلاباذي، محمد بن إسحاق البخاري (ت، 380 هـ/ 990م) التعرف على مذهب أهل التصوف، تح: أرثر جون أبري، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط2، 1994 م، ص5؛ عبد الله، مصطفى، كشف الظنون عن أساليب الكنى والفنون، بغداد، مطبعة الأوفست، د. ت، ج1، ص414.**

[9] **الهجويري، كشف المحجوب،ص28؛ A.NICHOLSON,REYNOLD,*The Mystics Of Islam*, London, 1914, P 4-7**

[10] **الأصبهاني، أحمد بن عبد الله (ت،430هـ/ 1039 م) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، مصر، مطبعة سعادة، 1933م، ج2، ص134.**

منهم منذ ذلك الحين اسم صوفي أو متصوف[1]، ومع حلول القرن الثالث الهجري تطورت الحركة الصوفية أكثر وأصبح الصوفي يتطلع لأن يكون شيخاً ومرشداً يجذب إليه وإلى تعاليمه المزيد والمزيد من أبناء المجتمع المقبل على أمور الدنيا ومشاغلها[2]، الأمر الذي حتّم عليهم إرساء الحركة الصوفية وإقرار تعاليمها [3]، وتعمّقوا في الحب الإلهي الذي أضحى من أهم خصائص التصوف عندهم [4]، فضلاً عن معالجة أفكار تعلّقت بالفقه الإسلامي كالقول إن باطن الشريعة أهم من ظاهرها والسنّة خيرٌ من الفرض والطاعة خيرٌ من العبادة، الأمر الذي جلب عليهم غضب الفقهاء وتسبب لهم بالنكبة التي عرفت "بمحنة الصوفية" [5] في مطلع القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي [6]، والتي راح ضحيتها العديد من رجال الصوفية، وفرّ من تبقى منهم إلى خارج العراق منتشرين في أرجاء العالم الإسلامي.

موقف الصوفية من الجهاد

قال أبو تراب النخشبي (ت، 245هـ/ 859 م)[7]، عن صفات الصوفي: "ومن الدلائل أن تراه مسافراً نحو الجهاد"[8]، وبما أن منطقة الثغور والعواصم كانت ساحةً للحرب العربية الإسلامية مع البيزنطيين، وبالتالي ساحة للجهاد ضدهم، قصدها الصوفية، حتى اشتهرت بعض نواحي الثغور بأنها كانت مراكزاً لهم، كجبل اللكام [9]، وحصن ثابت بن نصر القريب من المصيصة، وحصن أولاس [10](الذي كان آخر ما للمسلمين على البحر المتوسط أو الرومي كما كان يعرف)، إذاً كانت الحركة الصوفية نشطة في تلك النواحي التي كانت ساحةً للجهاد ضد البيزنطيين، فما هو موقف هؤلاء الصوفية من الجهاد؟.

في الواقع كان الجهاد بفرعيه الأصغر والأكبر، أي جهاد النفس وجهاد الأعداء، ركنان أساسيان في الحياة الروحية الإسلامية منذ القرون الأولى، خاصة عند الصوفية الذين اعتادوا جهاد النفس، وجعلوا من جهاد الأعداء والمرابطة في الثغور شرطاً من شروط التصوف[11]، فوفدوا تلك النواحي من سائر البلدان ومنهم:

السري بن المغلس السقطي (ت، 251هـ/ 859م)، وهو أحد الأولياء المشهورين بالعبادة والورع والزهد، ظهر في بغداد وتكلم في علوم الحقائق، وهو إمام البغداديين في الإشارات، كان يلزم بيته ولا يخرج منه أبداً، قدم الثغور من بغداد، فدخل طرسوس مجاهداً، فغزاهم عدة غزوات وجال في أنحاء الثغور والعواصم متفقداً أحوال المسلمين في تلك المنطقة قبل عودته إلى العراق، ويروى عنه أنه كان في أحد غزواته إلى الروم، فمرَّ بروضة خضراء فيها الخباز وحجر منقور فيه ماء المطر، فقال في نفسه: لئن أكلت يوماً حلالا فاليوم، فنزل عن دابته وجعل يأكل من ذلك الخباز،

---

[1] ماجد، عبد المنعم، تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، القاهرة ، ط4، 1987م، ص184.

[2] عفيفي، أبو العلاء، في التصوف الإسلامي، القاهرة، 1969م، ص19.

[3] الهجويري، كشف المحجوب، ص29-137.

[4] الهجويري، المصدر نفسه، ص29؛ الأصبهاني، حيلة الأولياء، ج10، ص332؛ آنا ماري شيمل، الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف، ص 54 – 62.

[5] محنة الصوفية: حدثت مع مطلع القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، حيث أتهمت سلطات بغداد خلال هذه المحنة سبعين صوفياً بالزندقة، ففر بعضهم إلى خارج العراق وبعضهم الآخر ألقي القبض عليه وسجن وقتل؛ الهجويري، كشف المحجوب، ص 30- 31.

[6] الهجويري، كشف المحجوب، ص30 – 38.

[7] أبو تراب النخشبي: وهو عسكر بن الحصين، من صوفية بلاد ما وراء النهر، قصد العراق والشام والحجاز، ابن الجوزي، صفة الصفة، ج 4، ص172-173.

[8] الغزالي، محمد بن محمد الطوسي (ت، 505 هـ/ 1111م)، إحياء علوم الدين، تح: بدوي طبّانة، القاهرة، كرياطة فوترا، د. ت، ج4، ص236.

[9] جبل اللكام(الأمانوس): هو الجبل المشرف على أنطاكية والمصيصة وطرسوس وتلك الثغور بالإضافة إلى امتدادات له حتى بلاد الروم؛ الحموي، معجم البلدان، ج5، ص22.

[10] ابن العديم، بغية الطلب، مج3، ص1449؛ الطرسوس، سير الثغور، ص55؛ الحموي، معجم البلدان، ج1، ص282.

[11] النشار، سامي علي، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، القاهرة، دار المعارف، 1995م، ج3، ص1194.

ويشرب من ذلك الماء، وأذ هاتف يهتف به: يا سري بن المغلس، النفقة التي بلغت بها إلى هذا من أين؟ فكف عن ذلك ونهض إلى راكبته[1].

ذو النون المصري(ت، 245هـ/ 859م)، وكان قد دخل منطقة الثغور ومعه خادمه سالم، فجالا في أنحاء الثغور والعواصم قبل عودتهما إلى مصر[2].

عبد الله بن خبيق بن سابق الأنطاكي (القرن 3هـ/9م) الذي قدم من الكوفة ونزل أنطاكية ومنها توجه إلى أذنه قاصداً الغزو، وهو القائل: " لا تغتم إلا من شيئ يضرك غداً؛ ولا تفرح بشيئ، إلا بشيئ يسرك غداً"[3].

– أبو الخيّر التيناتي، وهو حمّاد بن عبدالله (ت، 343هـ/ 954م)، أصله من المغرب، قدم الثغور ونزل التينات[4]، وعُرف بالأقطع لأنه مقطوع اليد، كان زاهداً في الحياة وله أيات وكرامات كثيرة، ومنها: " قال ابن باكويه: سمعت إبراهيم بن محمد السبّاك يقول: كنا نطلع على أبي الخير التيناتي من الخوخة(الباب الصغير في الباب الكبير) وهو يسف الخوص(ينسج ورق النخيل) بيديه، فإذا خرج رأيناه أقطع"[5].

– سعيد بن سلام، أبو عثمان المغربي(القرن 3هـ/ 9م)، وأصله من المغرب، دخل الثغور الشامية، وصحب أبو الخيّر التيناتي، وصار من كبار مشايخ صوفية الثغر، وهو القائل: " التقوى تتولد من الخوف" وهو القائل: " الحكمة هي النطق بالحق"[6].

– أبو بكر الجويني الصوفي(القرن4هـ/ 10م)، قدم من مرو إلى الثغر مجاهداً[7].

– أبو الحسن بن عبد الله الغوطي الصوفي، قدم من غوطة دمشق، وأقام في ثغر طرسوس مجاهداً (القرن 4هـ/ 10م)[8].

– أبو الليث الخراساني(القرن 4هـ/10م)، وهو من خراسان، قصد طرسوس مجاهداً، وعكف فيها على الصلاة والعبادة[9].

إذاً كانت منطقة الثغور قبلةً لهؤلاء الصوفية الذين وفدوا إليها من كل صوب سواءً من المغرب أو مصر أو العراق وباقي الأقاليم الشرقية، قاصدين المرابطة والمثاغرة على الحدود مع الأعداء، هرباً من حياة الترف والبذخ، وابتعاداً عن مركز الخلافة العباسية، والصراعات القائمة فيها، فمنهم من أقام في تلك النواحي بصورة مؤقتة وعاد بعدها إلى بلاده، ومنهم من قصدها للإقامة فيها بصورة دائمة، فكان منهم الواعظ والمرشد، والمرابط المثاغر الذي أوقف حياته على الغزو ما أدى إلى ازدهار الحركة الصوفية في تلك النواحي، فبرزت أسماء أعلام عدة في عالم التصوف كانوا من أبناء تلك المنطقة، منهم:

---

[1] ابن العديم، بغية الطلب، مج9، ص4212- 4216.

[2] ابن العديم، المصدر نفسه، مج9، ص4180.

[3] السلمي، محمد بن الحسين (ت،412هـ / 1021م)، طبقات الصوفية، تح: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط2، 1424هـ / 2003م، ص120 – 123.

[4] التينات: إحدى ثغور الشام، تقع على البحر بالقرب من المصيصة، كان فيها مقطع للأخشاب؛ الحموي، معجم البلدان، ج2، ص68.

[5] ابن الجوزي، صفة الصفوة، ج4، ص283_ 284.

[6] ابن العديم، بغية الطلب، مج9، ص4311؛ السلمي، طبقات الصوفية، ص358.

[7] ابن العديم، بغية الطلب، مج4، ص4367.

[8] ابن العديم، المصدر نفسه، مج4، ص4394.

[9] ابن العديم، المصدر نفسه، مج10، ص4606.

أبو الحارث الأولاسي(ت، 297هـ/ 902م)، وهو فيض بن الخضر، وهو من صوفية الثغر، أقام في طرسوس مجاهداً إلى أن توفي فيها،[1].

أبو الحسن البغراسي، واسمه علي، وهو من شيوخ الصوفية في الثغور الشامية، أقام في حصن بغراس [2]، محدّثاً عن أبي الخيّر التيناتي[3].

أبو عمران الملطي، وهو من أهالي ملطية واشتهر بالفروسية ومجاهدة الروم، وهو القائل في التصوف: " حالٌ حيّر فلبلبل فلم يبقِ للمتحيّر ما يُعرف به"[4].

حذيفة بن قتادة المرعشي وكان محدّثاً وجال في الثغور، وهو القائل: " ما أصيب أحد بمصيبةٍ أعظم من قساوة قلبه"[5].

أبو القاسم الآبّار، وهو أحد مشايخ الصوفية المشهورين في المرابطة بثغر طرسوس[6].

أبو القاسم الملطي، وهو من صلحاء الصوفية وأحد المرابطين بثغر طرسوس[7].

أمّا عن أثر حركة المرابطة في الثغور الشامية سواءً من قبل المتطوعين أو المتصوفة، فيمكننا القول أن نشاط حركة المرابطة والمثاغرة في منطقة الثغور الشامية كانت حالةً إيجابية في تاريخ الأمة من خلال إقامتهم في تلك الديار مرابطين ومدافعين عن حدود بلادهم، لا يبتغون شيئاً سوى مرضاة الله سبحانه وتعالى، وغير طامعين بمغانمٍ أو مكاسبٍ[8]، فحضوا الناس على الجهاد دفاعاً عن أوطانهم من خلال إقامتهم في تلك الديار مرابطين ومثاغرين بقصد الجهاد[9]،فكانوا مثلاً للصبر وتحمّل أعباء المجاهدة"[10]، كما كان هؤلاء الصوفية غير منقطعين تماماً للعبادة والجهاد، بل بل كانوا منخرطين في الحياة العامة لأهالي الثغر وسائر المرابطين هناك، ومشاركيهم همومهم وسائر أنشطة حياتهم، فهذا أبو عبيدة الخوّاص الصوفي (عبّاد بن عبّاد الخوّاص) [11]، بقي أربعين سنة دون أن يضحك وحين سُئل عن سبب ذلك قال: "كيف أضحك وفي أيدي المشركين من المسلمين أحد" [12]، وهذا أبو بكر بن أبي سعدان الصوفي، كان رسولاً للمسلمين إلى الروم، حيث لم يكن بمثله في تلك النواحي فضلاً وعلماً وفصاحة وبيان لسان [13]، وأبو بكر بن مسلم الصوفي، كان قد أخذ على عاتقه بناء قنطرة طرسوس على نهر البردان [14]، فظلّ مواظباً عليها حتى أتمّ بنائها، فنسبت

---

[1] ابن الجوزي، صفة الصفوة، ج4، ص282؛ ابن العديم، بغية الطلب، مج10، ص4641.

[2] بغراس: مدينة في لحف جبل اللكام، على يمين القاصد أنطاكية من حلب؛ الحموي، معجم البلدان، ج1، ص467.

[3] ابن العديم، بغية الطلب، مج9، ص4399.

[4] ابن العديم، المصدر نفسه، مج10، ص4542.

[5] ابن الجوزي، صفة الصفوة، ج4، ص268.

[6] ابن العديم، بغية الطلب، مج 10، ص 4591.

[7] ابن العديم، المصدر نفسه، مج10، ص4591.

[8] يروى عن أحد الصوفية ويدعى أبو يوسف الغسولي (ت ، 240هـ / 854 م) وهو أحد الصوفية المرابطين في الثغور بقصد الجهاد، أنه لم يكن يأكل ما يجدونه في بلاد العدو؛ ابن العديم، بغية الطلب، مج10 ، ص4660.

[9] السلمي، طبقات الصوفية، ص93؛ ابن الجوزي، صفة الصفوة، ج4، ص264 – 266.

[10] القشيري، الرسالة القشيرية، ص17 – 18- 60؛ آنا ماري شيمل، الأبعاد الصوفية في الإسلام، ص21.

[11] الأصبهاني، حلية الأولياء، ج8، ص 281.

[12] ابن الجوزي، صفة الصفوة، ج4، ص275.

[13] السلمي، طبقات الصوفية، ص317.

[14] نهر البردان: عرف بهذا الاسم لبرودة مائه، وكان يشق مدينة طرسوس وينتهي في بحر الروم(المتوسط)؛ لسترانج، بلدان الخلافة، ص 165.

إليه[1]، وأبو خالد النجّار الذي كان يعمل في صناعة الأخشاب ونجارتها [2]، وبناءً على ما تقدم يمكن القول إن زهدهم لم لم يكن زهداً أعمى وإنما زهداً إيجابياً، من خلال مشاركتهم المسلمين همومهم وسائر أمور حياتهم.

خاتمة

من خلال ما تقدم تبيّن أن حركة المرابطة في منطقة الثغور، كانت وليدة البيئة الإسلامية ونتيجة لعوامل قد أثرت بها وساهمت في تطورها، ولعلّ أبرز هذه العوامل ما تعلق بالمفهوم الإسلامي للجهاد، ففي الوقت الذي ضعفت فيه الدولة وأصبحت عاجزة عن القيام بفتوحاتٍ مهمة واقتصر الأمر على القيام ببعض الغزوات الدورية إلى بلاد الروم، تحوّلت القوى الإسلامية الراغبة في الجهاد إلى قوى مرابطة في هذه الثغور إلى حين موعد هذه الغزوات، ومع بروز الحركة الصوفية وانتشارها وازدهارها في سائر أنحاء العالم الإسلامي، أصبح اللجوء إلى منطقة الثغور ملاذاً آمناً لأتباعها هرباً من حالة الترف التي اجتاحت المجتمع على إثر الرخاء الاقتصادي الذي عمّ الدولة، فرابطوا في تلك النواحي، وعكفوا على العبادة والجهاد وآثروا هناك العزوف عن الدنيا وملذاتها، ويمكننا إجمال النتائج التي تم التوصل إليها بالتالي:

كانت منطقة الثغور الشامية مقصداً للمرابطين المتطوعين الذين وفدوا إليها بغية الجهاد في سبيل الله.

كانت منطقة الثغور الشامية مقصداً للصوفية الذين آثروا الحياة الآخرة على الحياة الدنيا، فرابطوا في تلك النواحي، الأمر الذي ساعد على ازدهار الحركة الصوفية في تلك المنطقة.

كانت حركة التصوف حالةً إيجابية في تاريخ الأمة، قامت بها فئة من المجتمع كردة فعل على حالة الترف والبذخ التي اجتاحت المجتمع، مما كان له دور في المحافظة على حالةٍ من التوازن أبقت المجتمع بطابعه الديني الذي تميز به منذ عهود الدولة العربية الإسلامية الأولى.

المصادر والمراجع:

المصادر:

1 ـ القرآن الكريم.

2 ـ الأصبهاني، أحمد بن عبد الله (ت، 430هـ/ 1039م)، *حلية الأولياء وطبقات الأصفياء* ، مصر، مطبعة سعادة، 1933م.

3 ـ الأصطخري، إبراهيم بن محمد الفارسي المعروف بالكرخي(ت، 334هـ/ 945م)، *المسالك والممالك* ، تح: محمد جابر عبد العال الحيني، مراجعة: محمد شفيق غربال، الجمهورية العربية المتحدة، دار القلم، 1381هـ/ 1961م.

4 ـ البخاري، محمد بن اسماعيل(ت، 256هـ/ 870م)، *صحيح البخاري*، دمشق– بيروت، دار ابن كثير، ط 1، 1423هـ/ 2002م.

5 ـ البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر(ت، 279هـ/ 892 م)، *فتوح البلدان*، تح: عبد الله أنيس الطّباع– عمر أنيس الطباع، بيروت، مؤسسة المعارف، 1407هـ–1987م.

[1] ابن العديم، بغية الطلب، مج7، ص3455.

[2] ابن العديم، المصدر نفسه، مج9، ص4432.

6 -ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت، 597هـ/ 1201م)، *صفة الصفة*، تح: محمود فاخوري – محمد روّاس قلعجي، بيروت، دار المعرفة، ط3، 1405هـ-1985م.

– *تلبيس إبليس*، بيروت، دار القلم، 1403هـ، (عدد الصفحات 396).

7 -الحموي، ياقوت بن عبدالله (ت، 626هـ/ 1229م)، *معجم البلدان*، تح: فريد عبد العزيز الجندي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1990م.

8 -ابن حوقل، محمد بن علي بن حوقل النصيبي (ت، نحو 367هـ/ 977م)، *صورة الأرض*، ليدن، مطبعة بريل، ط2، 1938م.

9 -السلمي، محمد بن الحسين (ت، 412هـ/ 1021م)، *طبقات الصوفية* ، تح: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط2، 1424هـ- 2003م، (عدد الصفحات503).

10 -ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع الزهري(ت، 230هـ/845م)، *الطبقات الكبرى*، تح: علي محمد عمر، القاهرة، مكتبة الخانجي، (د.ت).

11 -ابن شداد، محمد بن علي بن إبراهيم (ت، 684هـ/ 1285م)، *الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة*، تح: يحيى زكريا عبّارة، دمشق، وزارة الثقافة، 1991م.

12 -الطرسوسي، عثمان بن عبد الله (ت،401هـ/ 1010م)، *بقايا كتاب سير الثغور من خلال مخطوطة بغية الطلب لابن العديم*، دراسة وتقديم: شاكر مصطفى، دمشق، دار طلاس، ط1، 1998م.

13 -الطوسي، أبو نصر السرّاج(ت، قبل 378هـ/ 988م)، *اللمع في التصوف* ، تح: عبد الحليم محمود – طه سرور، مصر، مكتبة الكتب الحديثة، 1960م، (عدد الصفحات 646).

14 -ابن العديم، عمر بن أحمد بن أبي جرادة (ت،660هـ/ 1262م)، *بغية الطلب في تاريخ حلب* ، تح: سهيل زكار، بيروت، دار الفكر، 1988م.

– *زبدة الحلب من تاريخ حلب*، تح: خليل المنصور، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1417هـ/ 1996م

15 -ابن العماد، عبد الحي بن أحمد (ت، 1089هـ/ 1678م)، *شذرات الذهب في أخبار من ذهب* ، بيروت، دار الفكر، (د.ت).

16 -الغزالي، محمد بن محمد الطوسي (ت، 505هـ / 1111م)، *إحياء علوم الدين*، تح: بدوي طبّانة، القاهرة، كرياطة فوترا، (د.ت).

17 -القشيري، عبد الكريم بن هوزان (ت، 465هـ/ 1073م)، *الرسالة القشيرية في علم التصوف* ، تح: معروف زريق، صيدا – بيروت، المكتبة العصرية، ط1، 1421هـ/ 2001م.

18 -الكلاباذي، محمد بن إسحاق البخاري (ت،380هـ/ 990م)، *التعرف على مذهب أهل التصوف*، تح: أرثر جون أبري، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط2، 1994م.

19 -الكندي، محمد بن يوسف (ت، 350هـ/ 961م)، *كتاب الولاة وكتاب القضاة* ، تح: رفن كَست، بيروت، مطبعة الآباء اليسوعيين، 1908م.

20 -ابن منظور، محمد بن مكرّم بن علي (ت،711هـ/ 1311م)، *لسان العرب*، بيروت، دار صادر، (د.ت).

21 -الهجويري، علي بن عثمان الجلّابي (ت، في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي)، *كشف المحجوب* ، تح: إسعاد عبد الهادي قنديل – أمين عبد المجيد بدوي، مكتبة الإسكندرية، (د.م)، 1974م.

22 -اليعقوبي، أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح (ت، 284هـ/ 897م)، *كتاب البلدان*، تح: محمد أمين ضنّاوي، بيروت، دار الكتب العلمية، (د.ت).

المراجع:

1-جلّول، ناجي، *الرباطات البحرية بإفريقية في العصر الوسيط*، تونس، 1999م.

2-زيود، محمد أحمد، *حالة بلاد الشام الاقتصادية منذ العصر الطولوني حتّى نهاية العصر الفاطمي* ، بيروت، دار الفكر، (د.ت)، (عدد الصفحات382).

3-السامر، فيصل، *الدولة الحمدانية*، بغداد، مطبعة جامعة بغداد، 1973م.

4-شعيرة، محمد الهادي، *الرباطات الساحلية الليبية*، مؤسسة ليبيا في التاريخ، (د.م)، 1968م.

5-شلبي، أحمد، *الجهاد في التفكير الإسلامي*، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1968م.

6-شيمل، آنا ماري، *الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف* ، تر: محمد السيد – رضا قطب، كولونيا(ألمانيا)- بغداد، منشورات الجمل، 2006م.

7-عبد الله، مصطفى، *كشف الظنون عن أساليب الكنى والفنون*، بغداد، مطبعة الأوفست، (د.ت).

8-ظهير، إحسان إلهي، *التصوف المنشأ والمصدر*، باكستان، ط1، 1987م.

9-عثمان، فتحي، *الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري*، القاهرة، الدار القومية للطباعة، 1966 م.

10-عفيفي، أبو العلاء، *في التصوف الإسلامي*، القاهرة، 1969م.

11-كاشف، سيدة إسماعيل، *أحمد بن طولون*، القاهرة، المؤسسة المصرية للطباعة، 1965م.

12- لسترانج، كي، *بلدان الخلافة الشرقية* ، تر: بشير فرنسين، كوركيس عوّاد، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط 2، 1985م، (عدد الصفحات 588).

13- *الموسوعة العربية الميسّرة*، بإشراف محمد شفيق غربال، بيروت، دار نهضة لبنان، 1981م.

14-ماجد، عبد المنعم، *تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى*، القاهرة، ط4، 1978م.

15-مبارك، زكي، *التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق*، القاهرة، دار الكلمات، 2012م.

16-محمد، أبو بكر، *التعرف لمذهب أهل التصوف*، بيروت، دار الكتب العلمية، 1980 م.

17-محمود، حسن أحمد، *حضارة مصر في العصر الطولوني* ، القاهرة، دار الفكر العربي، (د.ت)، (عدد الصفحات244).

18- *الموسوعة العربية العالمية*، مؤسسة أعمال الموسوعة، الرياض، ط2، 1419هـ/ 1999م.

19-النشّار، سامي علي، *نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام*، القاهرة، دار المعارف، 1995م.

المراجع الأجنبية:

1- ABU HANIEH,HASSAN, *Sufismandsufi orders*, Amman, Friedrich-Ebert-Stifung, 2011.

2- A, NICHOLSON, REYNOLD. *The mystics of Islam*, London, 1914.